السنة الخامسة عشرة وثلاث مئة

فيها في صفر قدم علي بنُ عيسى بغدادَ، فتلقَّاه الناس من الأنبار، ودخل على المقتدر فقرَّبه وأدناه، وخاطَبَه بالجميل، وصرفه إلى منزله، وبعث إليه بكسوة فاخرةٍ، وفُرُش، ودوابّ، وعشرين ألف دينار، فلمَّا كان من الغد خَلَع عليه خِلْعةَ الوزارة، فأنشد علي بن عيسى: [من البسيط]

ما الناسُ إلا مع الدُّنيا وصاحبِها ... فكيف ما انقلبتْ يوماً به انقلبوا
يُعظِّمون أخا الدنيا فإن وثَبَتْ ... يوماً عليه بما لا يَشتهي وَثَبوا

وفي ربيع الآخر خلَع المقتدرُ على مؤنس، وأمره بالخروج إلى الثُّغور؛ لأنَّ الروم وصلوا سُمَيْسَاط، وأخذوا جميعَ ما كان فيها، وضربوا بالنَّاقوس في الجامع، وتجهَّز مؤنس للخروج، ولم يبْقَ إلا وداعُه للمقتدر، فجاءه خادمٌ من خواصِّ المقتدر فقال لمؤنس[1]: إنَّ الخليفة قد حفر لك زُبْيَةً بدار الشَّجرة، وأمر أن تنفردَ إذا دخلتَ ممَّن معك، ويُمرَّ بك على الزُّبْيَة، وتُلقى فيها وتُدفَن، ويظهر أنَّك وقعتَ في سِرْداب فمتَّ، فامتنع من وداع المقتدر، وركب إلى مؤنس القوَّادُ والغلمان بأسرهم، ولم يبْقَ في باب الخليفة أحدٌ، ولبسوا السلاحَ، وقال له أبو الهيجاء عبد الله بنُ حمدان: أيُّها الأستاذ، لا تخَفْ؛ فلنقاتلَنَّ بين يديك حتى تَنْبُتَ لك لِحْية.

فبعث إليه المقتدرُ رُقعةً بخطِّه مع نسيم الشرابي، يحلفُ له فيها بالأيمان المُغَلَّظة على بُطلان ما بلغه، ويُعرِّفه أنَّه صائرٌ إليه الليلة ليحلفَ له مُشافهةً، فصرف مؤنس جميع مَن صار إليه من الجيش إلى دار الخليفة، ولزم أبو الهيجاء دار مؤنس ليلاً ونهاراً، وبعث المقتدر نصراً الحاجب وخواصَّه، فأحضروا مؤنساً إلى حضرته، فقبَّل الأرض، وقبَّل يدَي الخليفة وقدميه، فحلف له المقتدرُ أنَّه على صفاء نيَّةٍ له، وأنَّ ما نُقِل إليه ليس له أصل، وودَّعه مؤنس، وسار من بغداد في ربيع الآخر، وشيَّعه الأمير أبو العباس بن المقتدر، والوزيرُ، والخواصُّ، وتوجَّه إلى الثغور فأوقع بالروم، وقتل منهم مَقْتَلةً

(١) في (خ): فقال له مؤنس، وليس في (ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً، وانظر المنتظم ١٣/ ٢٦١.

عظيمة.

وقال ثابت: لمَّا وصل خبرُ القِرمطيِّ ردَّه المقتدرُ من تَكْريت إلى بغداد، فبعث جيشاً إلى الروم[١].

وفيها ظهرت الدَّيْلَم على الرَّيِّ والجبال، وأول مَن غلب لنكي بن النعمان، فقتل من أهل الجبال مقتلةً عظيمة، وذبح الأطفالَ في المُهود، ثم غلب على قَزْوين [رجلٌ دَيْلَميّ يقال له:] أسفار بن شيرويه، وألزم أهلَها مالاً وعَسَفهم، فخرج الشيوخ والأطفال والنساء والصبيان إلى المصلَّى يدعون الله عليه.

وكان له قائد اسمه مرداويج [بن زيار، فوثب مرداويج] على أسفار، فقتَلَه وملك مكانه، وأساء السيرة في أصبهان، وانتهك الحُرمات، وجلس على سرير من ذهب، دونه سريرٌ من فضة يجلس عليه مَن يرفع منه ويقول: أنا سليمان بن داود، وهؤلاء الشياطين أعواني، وكان يسيءُ السيرةَ في أصحابه وخصوصاً الأتراك، فدخل الحمَّام يوماً، فدخل عليه الأتراك فقتلوه ونهبوا خزائنَه، ومشى الديلمُ بأجمعهم حُفاةً تحت تابوته أربعة فراسخ.

وفيها جاء أبو طاهر القرمطيُّ إلى الكوفة في شوال، فنزل قريباً منها في ألف فارس وخمسة آلاف راجل، فجهَّز المقتدر إليه يوسف بن أبي السَّاج في عشرين ألفاً ما بين فارسٍ وراجلٍ مُقاتلة سوى الأتباع، وأخذ القرمطيُّ من الكوفة ما كانوا أعدُّوه من الميرة والعُلوفات ليوسف [فَتَقوَّى بها]، وكان القرمطيُّ قد سبق يوسفَ [إلى الكوفة] بيومٍ، وذلك يوم الخميس لسبع خلون من شوال، وبعث يوسفُ إلى القرمطي يدعوه إلى الطاعة، فلم يُجب، والتقوا يوم السبت، فنظر يوسفُ إلى عسكر القرمطيِّ فاحتقره وقال: ومَن هؤلاء الكلاب حتى أُفكِّر فيهم، هؤلاء بعد ساعة في يدي، ثم كتب[٢] إلى المقتدر كتاب الفتح قبل اللقاء [تهاوناً به]، وأمر بدقِّ الدَّبادب والبوقات، فقال القرمطيُّ: هذا فشلٌ، ولم يكن في عسكره دَبادب ولا بوقات.

---

(١) من قوله: وتجهز مؤنس للخروج... إلى هنا ليس في (ف م١).

(٢) في (ف م١): ثم أمر فكتب.

والتقوا، فثبت ابن أبي السَّاج، وقاتل قتالاً شديداً، وخرج من القرامطة خمسُ مئة بالنُّشَّاب المَسموم، والقرمطيُّ في عَمَّاريَّة في نحو مئتي فارس من ثقاته، فنزل من العَمَّاريَّة[١] وركب فرساً، وحمل هو ومن معه من أصحابه على يوسف، وحمل عليه يوسف في غلمانه، واشتبكت الحربُ بينهم، فلمَّا كان في آخر النهار أُسر يوسف وفي جَبينه ضَرْبة، بعد أن اجتهد به غلمانُه أن ينصرف فامتنع [عليهم، وصار أسيراً في يد القرمطي بعد أن] قتل من أصحابه عِدَّةٌ كثيرةٌ، وانهزم أصحابُه، وحُمل إلى القرمطي فضُربت له خيمةٌ، وفُرِش له فيها، وداوَوْا جراحتَه.

وبلغ الخبرُ إلى بغداد في ثالث عشر شوال، فانزعج المقتدر وأهلُ بغداد، وعزموا على النُّقْلَة إلى شرقي بغداد، وخرج مؤنس بعساكره إلى باب الأنبار فأقام به، وجاء القرمطيُّ إلى الأنبار فنزل غربيها، فقطعوا الجسرَ بينهم وبينه على الفرات، وأقام غربي الفرات يتحيَّل في العبور إلى الجانب الشرقي، ثم عبر، وقتل أصحابَ السلطان بالأنبار.

وخرج نصر الحاجب والرجَّالة وجميع مَن ببغداد من القوَّاد وغيرهم، واجتمعوا بمؤنس بباب الأنبار، وكانوا أربعين ألفاً من الفُرسان والمُقاتلة والرَّجَّالة وزيادةً على ذلك، وخرج أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وإخوتُه أبو الوليد وأبو العلاء وأبو السَّرايا في أصحابهم وأعوانهم.

وتقدَّم نصر الحاجب فنزل على نهر زبارا عند عَقْرَقُوف[٢]، على نحو فَرْسَخَين من بغداد، ولحق به مؤنس [واجتمعوا على النهر]، وأشار أبو الهَيْجاء [على نَصْر] بقطع القَنْطَرة، فتثاقل مؤنس عن قطعها فقال له: أيُّها الأستاذ، اقطعها واقطع لحيتي[٣] معها، فقطعها لإحدى عشرة ليلة خلَت من ذي القعدة.

ولمَّا أصبحوا جاءهم القرمطيُّ في عسكره فحاذاهم، وبعث بين يديه أسود ينظر إلى

---

(١) في (ف م١): وخرج من أصحاب القرمطي خمس مئة رجل بالنشاب المسموم وأكثر، فلما رأى القرمطي ذلك وكان في عمارية مع من يثق به من أصحابه في نحو من مئتي فارس ونزل من العمارية. والمثبت من (خ).

(٢) في (ف م١): فنزل على النهر الذي عند عقرقوف ويعرف ببارا، والمثبت من (خ).

(٣) في (ف م١): واقطع الجسر، وانظر تكملة الطبري ٢٥٤.

المَخاض، فرَمَوه بالنُّشاب حتى جعلوه كالقُنْفُذ، وبينهم النهر، فلم يزل حتى رأى القنطرة مقطوعةً، فعاد وأخبر القرمطي، فرجع، ولم يجد مَخاضةً يَعبر فيها، وكان مؤنس قد بَثَق البُثوق.

وأقام القرمطيُّ بإزائهم يومين، ثم سار نحو الأنبار، فلم يتجاسر أحدٌ من عسكر مؤنس يتبعُه.

وقال ثابت: وكان ما أشار به أبو الهيجاء من توفيق الله، فإنَّها لو كانت القنطرةُ صحيحةً لعبر عليها أبو طاهر، وانهزم[1] عسكر الخليفة، وملك أبو طاهر بغداد.

[قلتُ:] فانظروا إلى هذا الخِذْلان، فإنَّ مؤنساً كان في أربعين ألفاً من الفرسان، والقرمطيُّ في ألف فارس [من سائر الألوان]، وقيل: ثمان مئة فارس وسبع مئة راجِل.

وقال ثابت [بن سنان: لقد حدثني جماعة] أنَّ مُعْظَم عسكر المقتدر انهزموا إلى بغداد قبل أن تقع عيونُهم على القرمطي [ولا رأوا جيشَه]، مع علمهم بقطع القنطرة، لعِظَم ما دخل في قلوبهم من الرُّعب.

ووصل أبو طاهر الأنبار لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، وظنَّ أصحابُ السلطان الذين كانوا بالأنبار أنَّ القرامطة رجعوا مُنهزمين[2]، فقاتلوهم، فقُتِل منهم نحوٌ من مئة فارس، وانهزم الباقون، وخرج إليه شيوخ الأنبار ومعهم أمان كان أعطاهم إياه، فلم يتعرَّض لهم.

وكان ابن أبي الساج أسيراً في ثَقَل القرمطي غربيّ الفرات، وكان مؤنس قد بعث بليق[3] في ستة آلاف فارس ليُخَلِّص [ابن أبي الساج من ثقل القرمطي]؛ ظناً منه أنَّ القرمطي لا يقدر على عبور الفرات، فجاء بليق [فوجده قد عبر إلى ثقله، فانهزم بليق]،

---

(١) في (خ): فلم يتجاسر أحد ببغداد وكان قطع القنطرة من توفيق الله تعالى وإلا كان عبر القرمطي عليها وهزم. والمثبت من (ف م١).

(٢) في (ف م١): قد عادوا منهزمين.

(٣) كذا ورد هذا الاسم هنا وفي بعض المصادر، وورد بتقديم الياء (يلبق) في مصادر أخرى، ولم أقف على مَن صحح أحدهما. انظر أوراق الصولي ١٥٨ ، وصلة الطبري ١١٥ ، وتكملته ٢٥٤ ، والمنتظم ١٣/ ٢٦٥ ، والكامل ٨/ ١٧٣ .

وأخرج ابن أبي الساج رأسَه من الخيمة لينظر حديث الوقعة، فوقع [إلى] القرمطي أنَّه أراد الهرب، فدعاه إلى حضرته وقال: أردتَ أن تهرب، وزعمتَ أنَّ غلمانك يُخلِّصونك، وأمر به فضُربت عنقُه، وقتل جماعةً من أصحابه، وعمل أطوافاً من القصب والخشب وكان يعبر عليها.

وكان علي بن عيسى قد أقام من باب الأنبار إلى زبارا مقدار فرسخين مئة رجل، مع كلِّ واحدٍ طَيْر يكتبون على أجنحتها خبرَ العدوِّ في كل ساعة، وهرب معظم أهل الجانب الغربي إلى الشرقي، ومضى بعضهم إلى حُلْوان [والبَنْدنيجَيْن، ولم يشكُّوا أن القرمطي يملك بغداد].

وسار القرمطي إلى هِيت، ورحل[1] مؤنس بالعساكر إلى الأنبار، وقدَّم مؤنس هارون بن غَريب وسعيد بن حَمْدان إلى هِيْت برجالهما، فسبقا القرمطيَّ، وصَعِدا على سورها، وقَوِيت قلوبُ أهلها، ونصب[2] أهلُ هيت المناجيقَ على الأسوار والعَرَّادات، وعمل القرمطيُّ سلالم، وزَحَف إليها فلم يقدر على نَقْبها، وقتلوا من أصحابه جماعةً، فرحل عنها.

وتصدَّق المقتدر بمال عظيم [لما رحل أبو طاهر من زبارا والأنبار وهيت، فكان] مبلغُه مئتي ألف درهم، وتصدَّقَت أمُّه بمئة ألف درهم، وعلي بن عيسى بخمسين ألف درهم.

وورد كتاب مؤنس يُحصي الذين اجتمعوا في عسكر السلطان بزبارا [فكانوا] نيفاً وأربعين ألفاً سوى الغلمان والأتباع.

ولمَّا وصل الخبر بقتل ابن أبي الساج دخل علي بن عيسى على المقتدر وقال [له:] يا أمير المؤمنين، إنَّما جمع الخلفاء [المتقدِّمون] الأموالَ ليَقْمعوا بها أعداءَ الدِّين والخوارجَ، ويَحفظوا بها [الإسلام و] المسلمين، ولم يلحق المسلمين منذ قُبض رسول الله ﷺ شيءٌ أعظم من هذا الكافر؛ لأنَّه قد أوقع بالحاجِّ، وجرى عليهم منه

(١) في (ف م١): وعجل.

(٢) في (ف م١): قلوب أهلها، وعقد مؤنس على الفرات جسر الأنبار، ونصب.

مالم يَجْرِ [على أحد] مثلُه، وقد تمكَّنَت هيبتُه في قلوب الأولياء و الخاصِّ والعامِّ، فاتَّقِ الله يا أمير المؤمنين؛ فإنَّه لم يبق في بيت المال شيءٌ، فخاطِب السيدةَ في مالٍ تُنفقه في العساكر، فإنَّها دَيِّنة فاضلةٌ، فإن كان عندها مالٌ قد ذَخَرَتْه لشدَّةٍ تَلْحقُها فهذا وقتُه، وإن يكن الأخرى فمالك ولأصحابك إلا أقاصي خُراسان.

فدخل على والدته، وأخبرها بما قال الوزير، فأخرجت خمس مئة ألف دينار، وأخرج المقتدر ثلاث مئة ألف دينار، وجرَّد علي بن عيسى العنايةَ في استخدام العساكر والحاشية وأصحاب مؤنس وبني حَمدان.

وورد من هِيت صاحبُ نصر الحاجب ومعه ثلاثة عشر[١] من القرامطة مأسورين كانوا تخلَّفوا عن القرمطي، فأمر المقتدر بإطلاقهم، وأعطى كل واحدٍ منهم خمس مئة درهم، وثوبَ دِيباج، وعمامةَ خَزٍّ.

وبلغ الوزير أنَّ رجلاً ببغداد يُعرف بالشِّيرازي[٢] يُكاتب القرمطيَّ، ويطالعه بالأخبار، وأنَّه من خواصِّ أصحابه، [فتقدم الوزير إلى نازوك بالقبض عليه، فبعث إلى مُرَبَّعة الخُرْسِيّ، فأخذه][٣] فأحضره بين يديه، وسأله عن ذلك فقال: نعم، أنا صاحبُ السيِّد، وما صحبتُه إلا لأنَّه على حقٍّ، وأنت وصاحبك وجميع مَن معكم على الباطل، وأنتم كفارٌ، ولا بدَّ لله من إمامٍ عادل وهو المهديُّ صاحبنا، فقال له الوزير: عرِّفني مَن يُكاتبه من ها هنا؟ فقال: أُخبرك بإخواننا المؤمنين حتى تُسلِّمهم إلى صاحبك الكافر؟ فأمر بضَرْبه بالمَقارع والدِّرة، وغُلَّ وقُيِّد وسُلِّم إلى نازوك، فحبسه في المُطْبِق، وامتنع عن الأكل والشرب، فمات بعد ثلاثة أيام.

واستدعى المقتدر مؤنساً [المُظَفَّر] ونصراً الحاجب إلى حضرته فقدما، ووَلَّى [أبا] الهَيجاء [بن حَمْدان] المَوْصل والجزيرة.

واجتمع الجند فشَغبوا على المقتدر، وطلبوا الزِّيادةَ، وشتموه أقبحَ شتم، ونهبوا القصر المعروف بالثُّريَّا، وأحرقوا بعضه، وصاحوا: بَطَّلتَ حجَّنا، وأخذتَ أموالنا،

(١) في (ف م١): ومعه عشرين. وفي تاريخ الإسلام ٧/ ٢١٣ : وورد من هيت نصر الحاجب...

(٢) في تكملة الطبري ٢٥٥ ، والكامل ٨/ ١٧٤ : أن رجلاً من شيراز.

(٣) ما بين معكوفين من (م١).

وجَرَّأتَ علينا عدوَّنا، وتنامُ نومَ الأمَة، فبذل لهم المالَ فسكتُوا.

وجُدِّدَت الخنادق على بغداد، وأُصلحت الأسوار، ولم يحجَّ أحدٌ من العراق [خوفاً من القرمطي]. وقيل: حجَّ بهم عبد الله بن عبيد الله بن سليمان بن محمد الأزرق[١].

وفيها توفي

الحسين بن مسلم

ابن محمد بن عُفَير[٢] بن محمد بن سَهْل بن أبي حَثْمَة الصحابي، أبو عبد الله.

ولد سنةَ تسع عشرة ومئتين، وتوفي في صفر بالجانب الشرقي من بغداد عن سبعٍ وتسعين سنة وأيام.

حدَّث عن أبي بكر بن أبي شَيْبة وغيره، وروى عنه ابن شاهين وغيره، وكان ثقة.

[فصل: وفيها توفي]

الحسين بن عبد الله

أبو عبد الله، الجَوْهَري، ويُعرف بابن الجَصَّاص، صاحبُ الأموال والجواهر التي ذكرناها.

وكانت بدايةُ أمره أنَّ أحمد بن طولون قال: لا يُباعُ لنا شيءٌ إلا على يده، فكَسِب الأموال.

قال: كان بدوُّ إكثاري[٣] من الأموال أنِّي كنتُ جالساً في دهليز حُرَم [أبي الجَيْش]

---

(١) في صلة الطبري ١١٦ : وحج بالناس في هذه السنة أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن سليمان من بني العباس.

(٢) كذا في (خ ف)، وهذه الترجمة ليست في (م١)، والذي في المصادر: الحسين بن محمد بن محمد بن عفير، انظر سؤالات السهمي للدارقطني (٢٦٧)، وتاريخ بغداد ٨/ ٦٦٢ ، والمنتظم ١٣/ ٢٦٦ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٩١ .

(٣) في (م١): وقد ذكر القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه بإسناده عن محمد بن أبي طاهر البزار أخباره عن التنوخي قال ابن الجصاص كان بدو إكثاري.
=

خُمَارويه بن أحمد بن طولون، وكنتُ أبتاعُ لهم الجوهرَ وغيره، وما كنتُ أفارق الدِّهليز، فخرجت إليَّ قَهْرَمانةٌ لهم في بعض الأيام ومعها عِقْدُ جوهرٍ، فيه مئة حبَّة لم أر قبله أحسن منه، تساوي كلُّ حبةٍ ألف دينار، فقالت: نحتاج تَخْرِط هذا حتى يَصْغُر، فأخذتُه [وقلتُ: السمعُ والطاعة]، وخرجتُ في الحال، فجمعتُ التجار، ولم أزل أشتري ما أقدر [عليه]، حتى حصَّلتُ مئةَ حبةٍ من النوع المطلوب، وأتيتُ بها إلى القهرمانة وقلتُ: قد خَرَطْنا اليوم ما قَدَرْنا عليه، والباقي نخرُطُه، وحملتُ إليهم مئتَي حبة وقلت: هذا تمامُه، وتُقُوِّم عليَّ ذلك بمئة ألف درهم.

وقال: نَكَبني المقتدر وحَبَسني، فأقمتُ مدةً، وأصبحتُ يوماً وأنا آيَسُ ما كنتُ من الفَرج، فجاءني خادمٌ فقال: البشارة لي، قلتُ: وما الخبر؟ قال: شفعَت فيك السيدة وقالت: شيخٌ، وغريبٌ، وله خدمةٌ، وقد استأصَلْتَه، فما تريدُ منه؟! فشفَّعَها فيه.

قال: فلمَّا خرجتُ مررتُ بدار السيدة، فرأيتُ هناك أحمالاً من الخَيْش في أعْدالٍ، مئةُ عِدْل، فعرفتُها[1]، وكانت قد أُخِذت في المصادرة ولم يعلموا ما فيها، وكان وكيلي قد بعث بها إليَّ من مصر، وجعل في باطن كلِّ خيشٍ ألفَ دينار كانت لي هناك، ولاستغنائي عن المال لم أفتح الأعدال، وألقيتُها في بيتٍ، فلمَّا نُكبت ونُقل جميعُ ما في داري أُخذت، فلمَّا رأيتُها بحالها قلت للخادم: قَبِّل الأرضَ بين يدي السيدة وقل لها: قد أحسنْتِ إليَّ، وقد خرجتُ من الحَبس كما ترين، وهذا الخَيْش لا يُنتَفع به، فإن رأيتِ أن تُطلقيه لي لأبيعَ منه ما أُنفقُه عليَّ، فإنَّكم لا تنتفعون به، فأطلقَتْه، فأخذْتُه وفتحتُ الأعدال، وأخرجتُ من كلِّ خَيشٍ ألفَ دينار، وبعتُ الخيش.

قال المُحَسِّن: ولمَّا صُودِرَ كان في داره سبعُ مئة مُزَمَّلَة خَيزُران ـ فما ظنُّك بدار يكون فيها هذا ـ وبلغت مصادرتُه ستة آلاف ألف دينار، غير المَتاع والأثاث والدَّواب والغِلمان[2].

= وهذا النص فيه أخطاء، صوابه ما في المنتظم ١٣/ ٢٦٧، قال ابن الجوزي: أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزاز، عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه قال: حدثني أبو علي أحمد بن الحسين بن عبد الله الجصاص قال: قال لي أبي: كان بدء إكثاري، وانظر نشوار المحاضرة ٢/ ٣١٢.

(١) وقع في (م١) خرم ينتهي في منتصف أحداث سنة (٣٢٠هـ).

(٢) نشوار المحاضرة ١/ ٢٥، والمنتظم ١٣/ ٢٦٨.

وقال جعفر بن وَرْقاء الشَّيباني: اجتزتُ بدار ابن الجَصَّاص بعد إطلاقه من المُصادرة، وإذا به في رَوْشَن داره يَعدو من أوله إلى آخره في يوم شديد الحرِّ كالمجنون، فصَعِدتُ إليه وقلتُ: ما الذي أصابك؟ فوقَع ساعةً كالمَغْشيِّ عليه، ثم أفاق فغسل وجهَه ورجليه وقال: أوَلا يحقُّ لي أن يذهب عقلي وقد أُخِذ مني كذا وكذا، وجعل يَعدُّ، فذكر شيئاً كثيراً، فقلتُ له: يا هذا، إنَّ نهايات الأموال غيرُ مُدرَكةٍ، وإنَّما يجبُ أن تعلمَ أنَّ النفوسَ لا عِوَضَ لها، فكذا العقولُ والأديانُ، فما سلم لك من ذلك فالفضلُ معك، وإنَّما يَقلَقُ هذا القلق مَن يَخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس، أو يخاف ذهابَ الجاه، فاصبر حتى أُوافقك على أنَّه ليس ببغداد اليوم بعد الذي خرج عنك أيسرُ منك من أصحاب الطَّيالِس، فقال: هات.

قلتُ: أليس دارك هذه التي كانت قبل المصادرة [ولك فيها من الفُرُش والأثاث ما فيها؟ قال: بلى. قلت: وعَقارك] بالكَرْخ يُساوي خمسين ألف دينار؟ قال: نعم، قلت: وبستانك الفلاني وضيعتك الفلانية وقيمتها كذا وكذا؟ [ولك] بالبصرة عقارٌ وملك قيمتُه مئةُ ألف دينار[1]، وأحصيتُ له ما قيمتُه سبعُ مئة ألف دينار، وقلتُ: اصدُقْني عمَّا سلم لك من الجواهر والعبيد والأثاث، فقال: قيمتُه ثلاثُ مئة ألف دينار.

فقلتُ: ما ببغداد اليوم مَن له ما يساوي ألف ألف دينار غيرك، وجاهُك قائمٌ، وهم يظنُّون أنَّك قد بقي لك أضعافُ ما أُخذ منك، فلمَ تَغْتمُّ؟!

فسجد شُكراً، وبكى وقال: قد غَلَب عليَّ الفكرُ حتى خفتُ على عقلي، فالله أنفذك إليَّ، ولو لم تجئني الساعة لزاد الفكر، وما عزَّاني أحدٌ أنفعَ لي من تعزيتك، وما أكلتُ منذ ثلاثٍ شيئاً، وأُحبُّ أن تقيمَ عندي، فأقمتُ عنده يومي.

وكان فيما أُخِذ لابن الجصاص خمسُ مئة سَفَط من مُرتفع ثياب مصر، ووجدوا في بستانه جِراراً خُضْراً فيها أموالٌ عظيمةٌ، وقَماقِمُ مُرَصَّعة مُرَصَّصَة والمال فيها.

وكان مع هذه الثروةِ فيه نوعُ بَلَهٍ وغَفْلة، ويُحكى عنه الحكاياتُ العجيبة، منها:

أنَّه قرأ يوماً في المصحف: «دِرْهم يأكلوا ويَتَمتّعوا ويُلْهِهم الأمل» فجعل يقول:

---

(١) في (خ ف): قيمته مئة ألف ألف دينار، والمثبت من المنتظم ١٣/ ٢٦٩، ونشوار المحاضرة ١/ ٢٨.

والله رخيصٌ، آكلُ وأتمتَّع بدرهم، هذا من إنعام الله تعالى.

وكان يُسبِّح كلَّ يوم بعد صلاة الصبح ويقول: أعوذ بالله من نِعمه، وأتوبُ إليه من كرمه، وأستقيلُه عافيته، وأسأله عوائق الأمور، حسبي الله وأنبياؤه وملائكتُه، اللهم وأدخل من بَركة دعائنا على أهل القصور في قصورهم، وعلى أهل البِيَع في بِيَعهم، وعلى أهل الكنائس في كنائسهم، سبحان الله قبل الله وبعد الله.

ومرض بالحمَّى فقيل له: كيف تَجِدُك؟ فقال: الدنيا كلُّها مَحمومة.

ونظر يوماً في المرآة وعنده رجلٌ فقال له: ترى لحيتي قد طالت؟ فقال: المرآة في يدك! فقال: الشاهد يرى ما لا يراه الحاضر[١].

ودخل يوماً على ابن الفرات الوزير فقال: أيَّها الوزير، عندنا كلابٌ ما تَدَعُنا ننام، فقال: لعلَّهم جراء، فقال: لا والله إلا كل كلب مثلي ومثلك.

وجلس يوماً يأكل معه، فلمَّا فرغ من الأكل قال: الحمد لله الذي لا يُحلَف بأعظم منه.

ونزل يوماً مع الوزير الخاقاني في زَبْزَبِه وبيده بِطّيخة كافورٍ، فأراد أن يَبصُقَ في دجلة ويعطي الوزير البطِّيخة، فبصق في وجه الوزير وألقى البطيخة في دجلة، فارتاع الوزير وقال له: ويحك ما هذا؟ فقال: غَلِطتُ، أردتُ أنْ أبصُقَ في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة، فقال له الوزير: كذا فعلتَ أيْ جاهل، فغَلِط في الفعل وأخطأ في الاعتذار.

ومن هذا الباب شيءٌ كثير، وقيل: إنَّه كان يَتغافل، والصَّحيحُ أنَّه كان مُغفَّلاً[٢].

عبد الله بن محمد بن جعفر

أبو القاسم، القَزْويني، الفقيه، الشافعي[٣].

---

(١) كذا في (خ ف)، وفي أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي ٥١ : الغائب، وهذه الحكايات كلها فيه.

(٢) نقل التنوخي في نشوار المحاضرة ١/ ٣٠ عن ابن أبي عبد الله الجصاص قصة تردُّ مزاعم غفلة أبيه ابن الجصاص، وانظر المنتظم ١٣/ ٢٧٠ ، وأخبار الحمقى والمغفلين ٥٣-٥٦ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢١٤-٢١٦، والسير ١٤/ ٤٧٢ .

(٣) تاريخ دمشق ٣٢/ ١٦٩ (طبعة دار الفكر)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٩٣ ، وميزان الاعتدال (٤٣٣٧).

وَلي قضاءَ [دمشق] نيابة عن محمد بن العباس الجُمَحي، وولي قضاء الرَّمْلة، وسكن مصر، وكانت له بها حَلْقة، وكان محمود السيرة فيما ولي.

وكانت له عبادةٌ ونُسُك ووَرع، ثم خَلَّط في آخر عمره فافتُضِح، ومُزِّقَت كُتبه في وجهه، وهَجَره الناس فلم يَقْرَبْه أحدٌ، فمات بعد ذلك بيسير.

حدَّث عن الربيع بن سليمان وغيره، وروى عنه ابن أبي العَقَب وغيره، ثم تركوه.

وقال الطحاوي: قدم علينا مصر، فكتب عنه شيوخُها، أمَّا نحن فما كتبنا عنه لأنَّنا نُناظره. معناه: أنَّنا نعرف الحديث ومن يُتَّهم به.

وقال الدارقطني: كان القزويني يضع الحديث[١].

عليُّ بن سليمان بن الفَضْل

أبو الحسن، البغداديّ، النَّحْوي، ويُعرَف بالأخْفَش الصغير[٢].

كان عالماً فاضلاً يُضاهي الأخفشَ الكبير في فضله، وتوفِّي ببغداد في ذي القعدة، وقيل: في شعبان فجأةً.

وكان فقيراً من الدنيا، وكان أبو علي بن مُقْلَة يَبَرُّه، وكلَّم في شأنه الوزير علي بنَ عيسى ليخرج له رزقاً فلم يفعل، وزَبَر ابنَ مُقلة، وعلم أبو الحسن فاغتمَّ، وانتهت به الحال إلى أن أكل السَّلْجَم[٣] النِّيْء، فقبض على قلبه فمات فجأة. وكان مُفتياً.

سمع ثعلباً، والمُبرِّد، واليَزيديّ وغيرَهم، وروى عنه المعافى بن زكريا وغيره.

ومن شعره يرثي قريباً له: [من البسيط]

يا ليتني كنتُ ممَّن كان شاهدَه ... إذ ألْبَسوه ثيابَ الغُرْبَة الجُدُدا

وطيَّبوه فما ضَنُّوا بطيبهم ... طِيْباً لَعَمْرُك لم تمدد إليه يدا

حتى إذا صَيَّروه دون صَفِّهِمُ ... وأمَّهم قارئٌ صلَّى وما سجدا

---

(١) سؤالات الحاكم للدارقطني ص١٢٠ وص١٧٣ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٨٨ ، وتاريخ دمشق ٤٩/ ٢٣٨ ، والمنتظم ١٣/ ٢٧١ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٩٥ ، والسير ١٤/ ٤٨٠ .

(٣) هو اللفت كما في المعجم الوسيط.

قالوا وهم عُصَبٌ يَسْتغفرون له قولَ الأحبَّة لا تَبْعَد وقد بَعِدا

وقال المعافى: كان إذا هجاه إنسانٌ ترك ذلك الهَجْوَ في أماكنه، فيستحي الذي هجاه فلا يعودُ إلى ذلك.

محمد بن إسماعيل

ابن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، أبو عبد الله، العَلَوي[١].

وإنَّما سُمِّي جدُّه طباطبا لأنَّ أمَّه كانت تُرَقِّصُه وتقول: كبا كبا يعني: نم.

سكن مصر، وكان سيداً فاضلاً جَوَاداً مُمَدَّحاً، وكان له بمصر جاهٌ ومنزلةٌ جليلة عند السلطان والعامة، وبها تُوفِّي، وقبرُه بالقَرافَة ظاهرٌ يُزار ويُتبرَّك به.

حدَّث عن أبيه وغيره، وروى عنه المصريُّون، وقدم الشام صُحبةَ خُمارَوَيه بن طولون.

محمد بن المُسيّب بن إسحاق

أبو عبد الله، النَّيسابوري ثم الأَرْغِياني[٢].

ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وطاف البلاد، وكان زاهداً، خائفاً، بكَّاءً حتى ذهب بصرُه، وكان يقول: ما بقي مِنْبَرٌ من منابر الإسلام لم أدخله لسماع الحديث.

وكان يمشي وفي كُمِّه مئةُ ألف حديث في مئة جزءٍ صغار.

وتوفِّي يوم السبت منتصف جمادى الأولى وهو ابن اثنتين وتسعين سنةً.

سمع خلقاً كثيراً منهم أبا سعيد الأشَجَّ، وروى عنه أبو حامد [بن] الشَّرقي وغيره، وأجمعوا عليه.

(١) تاريخ دمشق ٦١/ ١٠٣ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٩٦ ، والوافي بالوفيات ٢/ ٢١١ .

(٢) تاريخ دمشق ٦٤/ ٤٧٣ ، والسير ١٤/ ٤٢٢ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٩٩ .